المصـــــدر : الحياة
التـــاريخ : 18-11-2007 العـــدد : 16298
الصفحـات : 18 المسلسل : 123

عشوائية العمل العربي المشترك بين قمة رباعية ودورة رياضية!

وحيد عبد المجيد

عندما افتتح الرئيس حسني مبارك دورة الألعاب الرياضية العربية الحادية عشرة في القاهرة مساء الأحد الماضي، لم يكن شكل مسابقة كرة القدم في هذه الدورة قد اتضح بعد.

وحين بدأت المنافسات في ٣٣ لعبة رياضية عقب الافتتاح، لم يكن معلوما ما إذا كانت مسابقة اللعبة الرئيسية الأكثر شعبية على الإطلاق ستجري بنظام المجموعتين أو المجموعة الواحدة. ولم تُحسم هذه المسألة ويُعلن إجراء المسابقة بنظام المجموعة الواحدة إلا في اليوم الثاني لأعمال الدورة بعد تأكيد غياب منتخبي الكويت وفلسطين.

ولم يكن هذا هو الارتباك الوحيد في تنظيم الدورة التي تأخر الإعداد لها واتسم ببطء ملحوظ إلى حد أن أحداً في القاهرة، وغيرها من المدن التي تقام فيها، لم يشعر بأن حدثاً كبيراً في الطريق إلا قبل أيام معدودة على الافتتاح.

وبدا تنظيم الدورة، على هذا النحو، صورة لحال النظام العربي الرسمي في عشوائيته وضعف أدائه تجاه أزمات تهدد بتفكيكه وتحمل أخطار متزايدة على بلادنا.

وكانت القمة الرباعية، التي عُقدت قبيل افتتاح دورة الألعاب، ضرباً من ضروب العشوائية التي آل إليها العمل العربي المشترك في جانب أساسي منه. فقد عقدت بلا ترتيب مسبق، بالرغم من أنه كان ممكناً استثمار الحدث الرياضي بشكل أكثر منهجية، في وجود خمسة قادة غير رئيس الدولة المضيفة لم يحضر اثنان منهم (العاهل الأردني والرئيس الفلسطيني) ما أطلق عليه قمة رباعية.

وهذا فضلاً عن أن عاهل المملكة العربية السعودية الملك عبد الله بن عبد العزيز كان قد توجه إلى مصر في ذلك الوقت في ختام جولته الخارجية المهمة التي أجرى خلالها محادثات رسمية مع قادة المملكة المتحدة وإيطاليا وألمانيا الاتحادية وتركيا وعقد لقاء تاريخيا مع بابا الفاتيكان.

لكن بمقدار ما جاءت القمة المصرية السعودية، في نهاية تلك الجولة الثرية في حصيلتها، مبشرة بإمكان تطور إيجابي في العمل العربي المشترك الذي تحاول القاهرة والرياض إنقاذه، بدت «القمة الرباعية» محبطة لما انطوت عليه من عشوائية ما زالت غالبة في هذا العمل. فقد حضر خمسة من القادة العرب إلى القاهرة في غياب ترتيب مناسب لاستثمار وجودهم بشكل أكثر فاعلية. ولذلك لم يكن لائقاً اعتبار لقاء على هامش دورة رياضية «قمة رباعية عربية»، كما أن لكل من الرؤساء الثلاثة الذين التقاهم مبارك، وهم اليمني علي عبد صالح والسوداني عمر البشير والعراقي جلال طالباني، أجندته الخاصة التي تشغله عن غيرها في اللحظة التي اعتنى.

أما القضية التي يمكن أن تجمعهم والتي قيل في القاهرة أنهم بحثوها، وهي مؤتمر السلام المقرر عقده في أنابوليس نهاية الشهر الجاري، فهي لا تعتبر ضمن أولويات الرئيسين السوداني والعراقي المثقلين بتفاقم أزمات بلديهما وتكاثرها. فلم يعد دقيقاً تماماً الحديث عن أزمة سودانية وأزمة عراقية، لأن كلاً من السودان والعراق يبدو كما لو أنه «مصنع» لانتاج الأزمات. والحال أن الأزمات هي أكثر ما ينتجه أو يعجز عن حله معظم

المصـــــدر : الحياة
التـــاريخ : 18-11-2007 العـــدد : 16298
الصفحـات : 18 المسلسل : 123

الغرب اليوم.

وكان السودان لا تكفيه أزمة دارفور بكل أخطارها الجيو - سياسية ومأساتها الإنسانية لكي تتفجر أزمة الجنوب مجدداً. وعندما حل الرئيس البشير في القاهرة، ليجد نفسه في قمة رباعية، كانت هذه الأزمة التي سبق حلها قد طفت على مشكلة دارفور التي تتعثر محاولات حلها. وأصبح بحث تداعيات أزمة الجنوب، في ضوء فشل اللجنة المشتركة المكلفة بنزع فتيلها، مقدماً على أزمة دارفور. وقد أظهر انفجار أزمة الجنوب مجدداً على هذا النحو أن النظام العربي، الذي كان متفرجاً على الجهود التي أثمرت اتفاقاً لحلها في العام ٢٠٠٥، لم يقم بأي دور في تذليل الصعوبات التي واجهت تنفيذ هذا الاتفاق وهو يقف متفرجاً الآن مرة أخرى على أزمة دارفور منذ اشتعالها، وعاجزاً عن ممارسة أي تأثير على سياسات لحكومة الخرطوم تهدد الطرف الجنوبي لهذا النظام، وممتنعاً عن إسداء أي نصح لها حتى حين تتلاعب بقضايا عربية على حساب أزمات بلدها مثلما فعلت قبل أسابيع قليلة حين قررت استضافة لاجئين فلسطينيين في الوقت الذي أصبح عشرات الألوف من شعبها لاجئين في تشاد !

أما الرئيس طالباني، الذي حضر أيضاً «القمة الرباعية»، فقد جاء حاملاً آخر تداعيات أزمة العراق، لا الأزمة نفسها، وهو التوتر الذي تصاعد مع تركيا منذراً باجتياح قواتها شمال بلاده والإقليم الذي ينتمي إليه هو شخصياً.

لكنه لم يجد، كالعادة، أكثر من تمنيات عربية طيبة عاد بها إلى ما اعتبره النظام العربي ذات يوم قريب، بوابته الشرقية» ووقف وراء «القائد المهيب» للنظام السابق دفاعاً عنها، ودعمه في حرب الثماني سنوات في مواجهة تهديد إيراني يجوز اعتباره لهواً إذا قارناه بالوضع الراهن.

لذلك فمشروع، هنا، السؤال عما قد يكون طالباني شعر به حين لم يجد سوى أمنيات طيبة تعليقا على ما لا بد أنه عرضه في القمة الرباعية بشأن مصير بلاده المهددة بتغلغل تركي في شمالها، بعد أن تمددت إيران في جنوبها ووسطها.

أما زالت تركيا وإيران مصدري تهديد إقليمي على نحو ما أفاض فيه منظرو الأمن القومي في جامعة الدول العربية وعلى أطرافها لعقود؟ سؤال آخر ربما يكون قد خطر لطالباني، الذي كانت أصوات عربية قد ارتفعت محذرة من مغبة توليه، وهو الكردي، رئاسة بلد عربي أثبت هو أنه أكثر حرصا عليه وحديباً على عروبته من المتحدثين باسم الأمة في داخل النظام العربي وبالقرب منه.

هكذا فكان مناسبة افتتاح دورة ألعاب عربية أبت أن تمر من دون أن تكشف اللقاءات السياسية التي صاحبتها، سواء القمة الرباعية أو القمم الثنائية، مدى الهشاشة التي صار عليها النظام العربي الرسمي والعشوائية التي أصبحت غالبة في أدائه، وأن تنبه مجدداً بالتالي إلى حجم الخطر الذي يهدد العرب العاجزين عن أن يكونوا رقما في معادلات الصراع الراهن على الشرق الأوسط.

مع ذلك فقد دلت القمة السعودية المصرية، التي بددت مخاوف كانت قد أثيرت قبل شهور بشأن حال العلاقات بين البلدين، على أن الفرصة لم تفت بعد لمعالجة اختلالات النظام العربي.